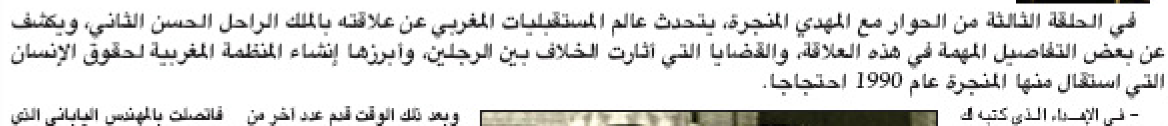
تصدر كل صباح

المساء
ALMASSAE

يومية مستقلة ■ العدد: 49 ■ الاربعاء 15 نونبر 2006 الموافق لـ 23 شوال 1427

كرسي الاعتراف مع: المهدي المنجرة (الحلقة 3)

غادرت القصر أكثر من مرة لتأخر الحسن الثاني عن موعده معي



في الحلقة الثالثة من الحوار مع المهدي المنجرة، يتحدث عالم المستقبليات المغربي عن علاقته بالملك الراحل الحسن الثاني، ويكشف عن بعض التفاصيل المهمة في هذه العلاقة، والقضايا التي أثارت الخلاف بين الرجلين، وأبرزها إنشاء المنظمة المغربية لحقوق الإنسان التي استقال منها المنجرة عام 1990 احتجاجا.

– في الإهداء الذي كتبه لك الحسن الثاني في كتابه «التحدي» يقول «نحن سمعنا بشماتته حول علاقتنا القديمة»، ماذا كان يعني؟

● في عام 1943 أو 44 كان بعض الأمراء يأتون إلى مدينة إفران للإقامة في بيتنا. كان والدي قد اشترى ذلك البيت في إفران من معمر فرنسي، لأن فرنسا كانت تمنع أي مغربي من شراء بيت إفران، وبقي يطالب بحقه في المحاكم مدة ست سنين، ولم يكن القصر قد بني بعد بيتنا في إفران للعائلة الملكية، حيث كان بيتنا أول بيت مغربي في المدينة في تلك المرحلة.

وعندما التقينا مرة في إفران بعد ذلك بعدة عقود التفت الحسن الثاني إلى إدريس البصري مشيرا إلى بيتنا وقال له «في هذا البيت تربيت». وبغض النظر عن الصداقة التي استمرت بيننا لعدة سنين، بقيت بيني وبينه مسافة من الاحترام ولم يكن هناك خلط ما بين العلاقات الشخصية والعلاقات الرسمية.

– هل حصلت بينك وبين الحسن الثاني مشاكل؟

● كانت هناك بعض المشاكل، خصوصا عندما رفضت البقاء في الإذاعة ورفضت العديد من المناصب، ثم جاءت قضية حقوق الإنسان...

– ما هي آخر مرة وقعت بينكما بعض الأشياء؟

● آخر مرة كانت عندما كنت منسق أول مؤتمر دولي للتعاون بين دول العالم الثالث داخل الأمم المتحدة في بداية الثمانينات. فقد رن الهاتف وكان على الجانب الآخر من الخط شخص يقول لي: «ألو أنا فلان، أكلمك من طرف جلالة الملك وهو يريد أن يراك غدا في مراكش، وقد أمرني أن أقول لك بأن الأمر لا يتعلق لا بوزارة ولا بسفارة». دخلت المغرب وذهبت لمقابلته، وكان ذلك أكبر شرف لي، قال لي كلمة واحدة لم يسمعها مني أي شخص في حياتي: طلبتك كاب، وحدثني عن أمور تتعلق بابنه، ولا يمكنني أن أذكر لأي شخص تفاصيل عنها، باعتبار ذلك اللقاء كان شخصيا.

– عندما بادرت إلى تأسيس المنظمة المغربية لحقوق الإنسان، ماذا كان رد فعله؟

● في آخر الثمانينيات استدعاني الحسن الثاني وهو في إفران، وكان كل من إدريس البصري وأحمد عصمان يرافقانه، وقال لي: «ما قصة حقوق الإنسان هذه»، فقلت له: «لقد أنجزت يا صاحب الجلالة دراسة حول هجرة الأدمغة على المستوى العالمي لمنظمة الأمم المتحدة سنة 1969، بتكليف من الأمين العام للأمم المتحدة، واكتشفت أن السبب الأساسي في هجرة الأدمغة سببها الأساسي هو حرية التعبير وحقوق الإنسان، وعدم الاهتمام الكافي بالبحث العلمي». تمشينا قليلا ونحن نتحدث حتى وصلنا إلى عين تسمى «فيتيل» في إفران، حيث قلت له: «إذا لم تقوموا بمجهود كبير في البحث العلمي فإن الهجرة سوف تبقى في تصاعد، وهناك عاملان للحد من ذلك: توفير الوسائل للبحث العلمي والحرية، ما عدا ذلك ليس هناك حل». التحق بنا باقي من كانوا يرافقون الملك، وحينها قال لي الحسن الثاني، أمام حوالي ثلاثين شخصا من الحكومة: «Mehdi m'a donné mauvaise conscience, je vais mettre le paquet dans la recherche scientifique» (لقد سبب لي المهدي تأنيبا للضمير، لذلك سأراهن على البحث العلمي) آنذاك حصلنا على الترخيص للعمل في المنظمة المغربية لحقوق الإنسان، فنظمنا المؤتمر التأسيسي، ولأنني تربيت في مناخ الروح المغاربية فإن أول ما قمت به هو أنني جمعت الحقوقيين التونسيين والجزائريين والمغاربة في الجزائر وأسسنا «الاتحاد المغاربي لحقوق الإنسان»، فأصيبت فرنسا بالسعار، لأن فرنسا تريد دائما التعامل مع الجزائريين والتونسيين والمغاربة كل على حدة، أما أن نتعامل مع الجميع كمغاربيين فهذا مرفوض، فعقدت «العصبة الفرنسية لحقوق الإنسان»، وهي منظمة غير حكومية، اجتماعا وقررت، وأنا اطلعت على ما دار في الاجتماع، أنه إذا بقي المهدي المنجرة رئيسا فسوف نوقف كل شيء ولن يدخلوا للاتحاد الدولي لحقوق الإنسان ولن ولن... آنذاك كان موعد الذكرى المائتين للثورة الفرنسية على الأبواب، وكان بعض من أعضاء المنظمة المغربية لحقوق الإنسان يريدون الحضور في تلك المناسبة ليعترف لهم بأنهم حقوقيون، كانوا يريدون أن يأتيهم الرضا من باريس وليس من المغاربة، ورفضت أنا الذهاب، فعقدنا اجتماعا في المنظمة وطلبت معرفة من يريد الحضور ومن لا يريد، فكان هناك عدد كبير ممن يريد الحضور. آنذاك فقط فهمت ما هي الانتهازية، أناس كثيرون دخلوا المنظمة ليس عن قناعة بل لشيء آخر، ماذا كانت النتيجة في آخر المطاف؟ بعد ذلك قدمت استقالتي، وفي المؤتمر الثاني جاؤوا عندي لكنني رفضت الترشيح، فسموني بالإجماع الرئيس المؤسس للمنظمة لكن لم أستعمل أبدا هذا اللقب لحد الآن.



الراحل الحسن الثاني يهدي كتاب «التحدي» للمهدي المنجرة

وبعد ذلك الوقت قدم عدد آخر من أعضاء المنظمة استقالتهم ومنذ تلك الفترة أخذت المنظمة اتجاها آخر، اتجاها كالويا قبل الكتلة، حسب المصالح. وقد ظهر لي من خلال تلك التجربة البسيطة ومن خلال سنوات النضال أن الانتهازية شيء جيني، ولكنها موجودة عند نوع من البشر هم السيسيون، لأن كل حركة يقومون بها لها حساب، وبالنسبة لي من تسيس تسوس.

– بعد ذلك، هل تكرر لقاؤك بالحسن الثاني، كم مرة طلبك؟

● طلبني أيضا عندما أسس الأكاديمية المغربية ليستشير معي، كما طلب محمد الفاسي وباحنيني وبنهيمة رحمهم الله. لقد كان يعرف مزاجي جيدا، ومرة طلبني في العاشرة في القصر الملكي، فذهبت في الموعد، واتصل بالقصر ليقول لهم أن يقولوا لي بأنه سيأتي متأخرا بخمس دقائق، لأنني من قبل احترمت نفسي وخرجت من القصر مرتين بعدما تأخر وذهبت إلى دروسي، وعندما استفسرني قلت له إن لدي مسؤوليتي كأستاذ جامعي. لقد فهمت منه أنه تفهم واحترم تصرفي.

– كيف كان يتم لقاؤك بالحسن الثاني، هل وفق البروتوكول الملكي؟

● الاحترام احترام، المنجرة يفعل في أي مكان ما يفعله الآخرون، وإلا عليه أن لا يذهب، فهناك درجات في الاحترام. لقد كان هو نفسه يدفع لي بكتفه لكي أقبله كي يجنبني تقبيل يده في نوع من الاحترام المتبادل. هذا حقيقة ليس موقفا من تقبيل اليد، فأنا قبلت يد محمد الخامس وأنا صغير، كنوع من البركة.

– هل كانت العلاقة بينك وبين الحسن الثاني تتم بعض الأحيان عن طريق مدير التشريفات والأوسمة، صهرك عبد الحق المريني؟

● لا، لا، العلاقات الشخصية لا مكان لها هنا، دعها جانبا، في بعض المرات كان هو بنفسه يطلبني في الهاتف، ومرات عن طريق مولاي أحمد العلوي، ويمكن أن يطلبك عن طريق مدير الديوان، ومرة عن طريق الوزير الأول، لم تكن لدي علاقة رسمية، مرة مثلا طلبني عن طريق الوزير الأول أحمد عصمان، فذهبت إليه وقال لي إن المهندس المعماري الياباني الكبير كانزو طانقي صديقي وأريته أن يأتي إلي، فاتصلت بالمهندس الياباني الذي قبل الحضور..

– لماذا كان يريده؟

● كانت لديه رغبة في إقامة ثلاثة مشاريع خارج المشور الملكي: المحكمة العليا وقصر المؤتمرات ومقر البرلمان، فلما جاء طانقي وعرف بتلك المشاريع قال له، ولاحظ هنا الروح اليابانية: «أولا المحكمة العليا لا أستطيع أن أقدم عليها، لأنها رمز العدل في البلاد، ويجب أن تكون مباراة وطنية وأنا مستعد لها بشرط أن تشرف عليها لجنة. البرلمان نفس الشيء، لكن قصر المؤتمرات أنا مستعد لبنائه». المهم أن الأمور توقفت عند هذا الحد ولا أعرف لماذا، لأن علاقتي بالأمر توقفت عند تلك النقطة.

– هل سبق أن غضب الحسن الثاني على تصريح أو كلام لك؟

● في بعض المرات كان ينزعج

– مثلا؟

● غضب مرة عندما قلت إن المغرب بلد إقطاعي ليست فيه حرية التعبير وفيه السجون والتعذيب ودولة الحق لا وجود لها. وعندما كان حيا كان موقفي مختلفا. إدريس البصري قلت له ما لم يقله له أي أحد، وأمام إدارته كلها، لكن هناك فرق بين أن تواجه الشخص عندما تكون له السلطة والكلمة وعندما يسقط. هناك أخلاق وطقوس، هذا إنسان انتهى ومات، وهناك احترام للأموات، بل إنك تجد قضية غريبة وهي أن أولئك الذين كانوا يمجدون ويسرقون ما إن ينتهي ذلك الشخص حتى ينقلبوا عليه. نحن تربينا على احترام الموتى، ما الفائدة من الحديث عنهم؟

سمع مني ادريس البصري نقدا لم يسمعه من أحد أما الآن فإن الأخلاق

تمنعني من مهاجمته لأن الأموات في ثقافتنا محترمون

– لكن الحديث عن الأموات يكون حديثا عن التاريخ وفيه دروس للأجيال اللاحقة؟

● الدروس للأجيال اللاحقة تكون في الأحداث والتيارات المهمة، وليس في الأشخاص، وعادة الأمور التي تغير لا يكون مصدرها شخص واحد، ربما يكون هذا الشخص معبرا عن قلق جماعة معينة، أما الذي يعبر عن قلقه وحده فهذا لا يمثل شيئا، وإذا كان يقال عني إني جريء فإن الجرأة تكون مع الإنسان وهو حي ولديه القوة والسلطة، أما عندما يضعف أو ينتهي أو يموت فهذه جرأة سهلة لكل شخص.

■ حاوره: ادريس الكنبوري